

الرسول يخاطبنا عن: محن عصرنا وفتنه

بقلم
أ.د/ غسان حمدون

* تصديق واقعا المعاصر لهذه الأحاديث يدل على صحة منهاج أهل السنة في تصحيح الحديث.

* الأحاديث الواردة صححها المحدثون المختصون وصدقها الواقع.

* تصديق الواقع لهذه الأحاديث يدل على صدق الصحابة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً ومنهم عبدالله بن عمرو وحذيفة ابن اليمان وأنس بن مالك وأبو هريرة وعبدالله بن عمر وابن عباس وغيرهم رضوان الله عليهم.

الخاصة: الذي اختصته لنفسك وسمع ثعلب يقول: إذا ذكر الصالحون فبخاصة أبو بكر، وإذا ذكر الأشراف فبخاصة علي⁽⁸⁾ - رضي الله عنهما وجمعنا بهما في الفردوس الأعلى - والعامة خلاف الخاصة⁽⁹⁾.

يقول الله سبحانه وتعالى: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ، وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسْتَهْمِ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**)⁽¹⁰⁾.

إنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة... إن هذا السؤال من الرسول والذين معه، من الرسول الموصول بالله، والمؤمنين الذين آمنوا بالله. إن سؤالهم **(مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)** ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة. ولن تكون إلا محنة فوق الوصف، تلقي ظلها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: **(مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)**

وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة.. عندئذ تقوم كلمته، ويجيء النصر من الله: **(أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)**⁽¹¹⁾ إن هذه المكرمة تحدث في حينها وفي شروطها ولكنها يا أخي في عصرنا أخذت شكلاً أعمق حدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالغربة أي بقتل الناس المؤمنين وطحنهم وهذا ما حدث في عصرنا، وأكثر ما حدث هذا في حوض البحر الأبيض المتوسط في

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(يوشك أن يغربل الناس غربة، وتبقى حثالة في الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتدعون عامتكم)** حديث صحيح⁽¹⁾. يغربل الناس غربة: يقتلون ويطحنون وقيل يُذَهَبُ بخيارهم وتبقى أراذلهم كما يفعل من يغربل الطعام بالغربال⁽²⁾ والمغربل المنتقى (كأنه نقي بالغربال)⁽³⁾.

الحثالة: الرديء في كل شيء⁽⁴⁾، وحثالة الناس أراذلهم وشرارهم⁽⁵⁾. مرج العهد والأمانة والدين: فسد⁽⁶⁾. وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه: أي اختلفوا خلافاً شديداً⁽⁷⁾.

(1) أخرجه أحمد (7023/221/2) واللفظ بروايته وإسناده صحيح - انظر تعليق الدكتور/ عبدالمعطي أمين القلجي علي جامع المسانيد والسنن ، لابن كثير. وأبو داود (4342/121/4) قال أبو داود: هكذا روي عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم، من غير وجه وهو حديث صحيح - انظر صحيح سنن أبي داود للألباني. وابن ماجه (3957/1307/2) ، والحاكم (2671/171/2) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة.. والحاكم أيضاً (8340/435/4) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

- (2) تاج العروس مادة (غربل)
- (3) انظر غاية النهاية في غريب الحديث والأثر (352/3)
- (4) انظر غاية النهاية في غريب الحديث والأثر (399/1)
- (5) انظر تاج العروس مادة (حثل)
- (6) انظر تاج العروس مادة (مرج)
- (7) بدليل رواية أبي داود الصحيحة كما مر:

- (...) واختلفوا فكانوا هكذا) وشبك بين أصابعه.
- (8) انظر تاج العروس مادة (خصص)
- (9) انظر تاج العروس مادة (عمم)
- (10) الآية 214 من سورة البقرة.
- (11) انظر في ظلال القرآن (219-218/1)

بدأ، حيث أسست قنوات فضائية كثيرة لتفسد الأجيال أكثر من فسادها.. ولكن الله سبحانه وتعالى جعل من يتكفل بقنوات فضائية فيها الكثير من الخير الإسلامي للأرواح بالعبادة وللعقول بالعلم النافع وللأجساد بالعمل الصالح...

إن الوصول إلى العامة أصبح شبه مستحيل في كثير من بلدان العالم الإسلامي في ظل الشيوعية تارة والرأسمالية تارة والصلبية والصهيونية المقنعتين مرات أخرى كثيرة... ولكن هذا القيد من فضل الله تعالى بدأ ينكسر، وهذا يتطلب منا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعامة فالخاصة يمكن أن تتحرك في وسط المجتمع الجاهلي بانتقاء من أقل فساداً لتصلحه وإذا أراد المؤمن الابتعاد عن العامة فبالشروط التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي سيأتي وعند ذلك لا تنفع الكلمة ولا النصيحة ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر إلا مع الخواص.

إن الفتن أصبحت تتتابع وحدث في عصرنا وذلك لتستمر الغرلة التي حدث عنها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وبعدها التمييز في داخل المجتمع المسلم فمنكرون للفتن بأنواعها مع شدتها وتتابعها وتنوعها، ثم نوع آخر مفتونون وقعوا ضحية خطط مرتبة لتسقطهم على الطريق... وأما عن تتابع هذه الفتن وكثرتها فقد حدثنا عنها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لننكرها..

فعن حذيفة — رضي الله عنه قال: كنا عند عمر — رضي الله عنه — فقال: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله

البلاد الإسلامية منها مع كل من يهتهم أمر الإسلام وانتصاره كمنهج للحياة، فقتل من قتل لا بالعشرات والمئات والآلاف بل بمئات الألوف، وستكلم عن ذلك كله في المخرج أي القتل الذي تكلم عنه النبي صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحديث..

ولست بحاجة للكلام عن الخثالة فكل ذي بصيرة يراها وهي تفسد عهدا مع الله.. وتتنكر لأماناتها على هذه الأمة، بل تتعاون مع الأجنبي من أعداء الأمة على هذه الأمة لتضليلها ونهب ثرواتها... وقتل وطحن لخواص الأمة الإسلامية.. ولئن كان هذا واضحاً في العالم الإسلامي كله فهو أوضح في حُماة الإسلام في حوض المتوسط ومركز الفتنة في الشرق كما حدث النبي صلى الله عليه وسلم وكما سنوضح ذلك..

أما العامة فلقد حرص الظلمة على إضلالهم وإفسادهم وجعلهم كالغنم تسير نحو المذبح ولا تدري...

فما موقفنا منهم؟! الحق أن كثيراً من رواد الدعوة الإسلامية في عصرنا الحديث لم يستطيعوا نجدة عامة الشعب المسلم، وفي حوض المتوسط المسلم بشكل خاص، أصبح ما يلقي فيها غالباً ينبغي أن يمر على مؤسسات غربية ظالمة لتوافق عليه، بل هي التي تحدد شكل هذا التوجيه المسموم باسم الإسلام وهو عدو للإسلام...

في هذه الأجواء المظلمة لم يكن على الدعاة إلا أن يقبلوا على الخاصة تعليماً وتربية وولاء.. ولكن الانفراج وعلى مستوى العالم الإسلامي

تعاد وتكرر شيئاً بعد شيء. ومعنى (فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء) فأشربها أي دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه كل الشراب وأما (نكت فيه نكتة) فمعناها نقط نقطة..

وأما قوله صلى الله عليه وسلم (حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض) فليس كتشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتنة لم تلصق به، ولم تؤثر فيه كالصفاء وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء⁽³⁾.

وأما قوله (والآخر أسود مراداً) فالمراد الذي في لونه ربة وهي السواد والعبرة وأما (كالكوز مجحياً) فالمجحى: المائل عن الاستقامة والاعتدال هنا⁽⁴⁾.

ومعنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك⁽⁵⁾.

وقوله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث (تعرض الفتن على القلوب، كالحصير عوداً عوداً) يدل دلالة واضحة على كثرة عرض الفتن على القلوب وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع

وجاره؟ قالوا: أجل قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت: أنا. قال أنت! لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء. حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مراداً، كالكوز مجحياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه) حديث صحيح⁽¹⁾.

الفتنة في أصل كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم وشحه وشغله بهم عن كثير من الخير قال تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)⁽²⁾. أو لتفريط بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم فإنه راع لهم ومسؤول عن رعيته وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات.

وأما معنى تعرض فتلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجانب النائم، ويؤثر فيه شدة التصاقها به، قال ومعنى عوداً عوداً أي

(3) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (171/2-173) باختصار.

(4) انظر جامع الأصول (23/10) عند شرح حديث رقم (7476)

(5) شرح صحيح مسلم للنووي (173 /2)

(1) أخرجه مسلم (144/128/1) في حديث شريف.

(2) الآية 15 من سورة التغابن.

وسلم قصد فيما قصد بذلك زماننا بالدرجة الأولى من بين الأزمنة وهذا من رحمته بنا صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم والله أعلم...
وكم ضلت أمام هذه الفتن المثارة قلوب فرأت الحق باطلاً والباطل حقاً، وإذا أراد المرء أن يعرف أن قد أصابته أم لا فعليه أن يتأمل ما قاله حذيفة رضي الله عنه قال: (إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن كان رأى حالاً كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حراماً كان يراه حالاً فقد أصابته) والخبر صحيح ..(3)

وأمام ظلم الظالمين ومساندتهم لأعداء الإسلام خارج الوطن الإسلامي وتفرق المسلمين تصبح الحياة صعبة في ظل مجتمع تغيرت فيه المفاهيم والأنظمة والقوانين، فالمؤمن هو في كل ساعة مهان أو مظلوم أو مهمش ومحاسب في عرضه وماله وشرف بناته أو أخواته في كثير من الأحيان... وهذا ما أوضحه الحبيب المصطفى فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر) حديث صحيح** ..(4)

عوداً أخذ آخر ونسجه، فشبّه عرض الفتن الكثيرة على القلوب واحدة بعد أخرى يعرض قضبان الحصر على صانعها واحداً بعد واحد⁽¹⁾.
وما أكثر الفتن التي تعرض على القلوب في هذا العصر سواء بفتاوى شيطانية أو بألعاب وحركات جاهلية، فتارة بعرض الإسلام بنظام اشتراكي يبيح مصادرة مصادر الإنتاج، وتارة بنظام رأسمالي يبيح كل ما يفرزه النظام الرأسمالي باستغلاله من الربا والقمار وأجور الزنى...، وتارة يبيحون باسم الإسلام أدوات الفجور مع الغناء الفاحش والرقص الخليع، وفتاوى شيطانية تبيح الولاء للظالم الكافر الفاجر من أعداء الإسلام والله يقول: **(... ومن يتولهم منكم فإنه منهم)**⁽²⁾، وتارة يريدون طمس الإسلام بوحدة الأديان لا بوحدة دين الإسلام، وكم سمعنا فتاوى شيطانية لإباحة الربا واعتبار الشهادة انتحاراً وإلقاء بالنفس إلى التهلكة وأن الذلة لعدو الإسلام مطلوبة وقد اغتصب الأرض بالسهل والجبل... إلخ وفتاوى شيطانية تبيح الزنى باسم نكاح المتعة.. أو الحرية الجنسية فانتشرت الأمراض الجنسية كالسفلس والزهري والسيلان والإيدز.. ولو أردنا أن نستعرض ذلك أمراً أمراً لطلال بنا المقام... كل ذلك يشير بدلالة واضحة على أن الكثرة في الفتن التي تعرض على القلوب هي في زماننا أوضح من أي وقت مضى، وأن رسول الله صلى الله عليه

(3) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي معلقاً على هذا الخبر في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم، المستدرک (8443/514/4) ومصنف ابن أبي شيبة (37343/474/7).

(4) أخرجه الترمذي (2361/444/6) في تحفة الأحوذى وابن عدي في الكامل (1711/5) والحديث صحيح بشواهد كثيرة. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (957/645/2) وتعليق عبدالقادر أنرؤوط رحمه الله على جامع الأصول (15/10) وعد السيوطي الحديث (حسن) انظر الجامع الصغير (9988/759/2).

(1) شرح صحيح مسلم للنووي باختصار (173/2) مع زيادة وتصرف
(2) الآية 51 من سورة المائدة .

أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: ((لا بل أجر **خمسين رجلاً منكم**)) حديث حسن⁽¹⁾.

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم (فإن من ورائكم أياماً) أي قدامكم من الأزمان الآتية⁽²⁾.. ويدل الحديث على فضل هؤلاء في الأجر على الصحابة، وقد جاء أمثال هذا أحاديث أخرى، وتوجيهه كما ذكروا أن الفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي⁽³⁾.

وقد تكلم ابن عبد البر.. رحمه الله تعالى.. في هذه المسألة وقال: يمكن أن يجيء بعد الصحابة من هو في درجة بعض منهم أو أفضل ومختار العلماء خلافة⁽⁴⁾.

والحق أن سائر ما عملنا هو في صحيفة الصحابة رضوان الله عليهم، فهم الذين آمنوا أولاً بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيماناً قوياً، ونشروا دينه بعده وحال حياته، فمن جاء بعدهم فببركتهم في الأصل رضوان الله عليهم آمن..، ألم تر أن من آمن وأنفق وقاتل قبل الفتح أفضل ممن جاء بعدهم قال تعالى: **(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل وكلاً وعد الله الحسنى)**⁽⁵⁾.

فهؤلاء الصابرين كالقابضين على الجمر في عصرنا أجر خمسين من الصحابة من حيث أجر كمية الصبر والله أعلم..

ومع كل العقبات والآلام من الله تعالى على الأمة الإسلامية في طول البلاد وعرضها عمالاً لله تعالى تمثلوا الإسلام ديناً ودعوة وجهداً، فأنازل الله بهم سبيل الأمة الإسلامية في عصرنا، وهم أوضح من الشمس وأكثر عطاء من الشجر المثمر، فلهم من الله أجر خمسين من الصحابة رضوان الله عليهم إن شاء الله تعالى، فقد مروا بمراحل قبل الدعوة العلنية لقوة الدعوة السرية التي تمثلت بالخواص الخواص في تربية فردية، فانبثوا داخل المجتمع كشجرة خير نمت رويداً رويداً في ما عرف في عصرنا في الرياضيات بمتوالية حسابية حديثة، وذلك في الخواص... عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت قوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)** قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنياً مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم)**..

قال عبد الله بن مبارك — أحد الرواة في سند الحديث — وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب (3252/336/8 تحفة الأحوذى) واللفظ بروايته، وأبو داود في سننه (4341/121/4) وابن ماجه في سننه (4015/1331/2).

(2) تحفة الأحوذى (337/8)

(3) المرجع نفسه (337/8)

(4) المرجع نفسه (337/8)

(5) الآية 10 من سورة الحديد

لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه(5).

أنواع الفتن:

الفتنة في أصل اللغة: جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ في قولك فتننت الفضة والذهب إذا أذبتها بالنار لتمييز الرديء من الجيد(6). ثم استعمل في إدخال الإنسان النار والعذاب، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب.. فتنة فيستعمل فيه، وتارة في الاختبار نحو قوله تعالى: (وفتناك فتوناً) (7)، ومنه قوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون) (8) أي لا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم(9).

1- فتنة المؤمن عن دينه بالعذاب:

قال تعالى: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جنهم ولهم عذاب الحريق)(10)، أي أن أحرقوهم بالنار الموقدة في الأحدود يلقون المؤمنين فيها ليصدوهم عن الإيمان..(11)

تعرض سورة البروج المشهد المفجع في لحات خاطفة، تودع المشاعر بشاعة الحادث دون تفصيل ولا تطويل... مع التلميح إلى عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس مع شدتها، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها، وارتفعت إلى الأوج الذي يشرف الإنسان في أجياله جميعاً(12)..

ولقد سمعنا ورأينا عمالاً لله صابرين في عصرنا، بل كانوا أثبت من الجبال الرواسي وتصب عليهم الآلام والعذاب بدراسة علمية نفسية وتشريحية... فلهم الله سبحانه في أحر خمسين من الصحابة لأنهم سلكوا مسلك الصحابة وأناروا للأمة الطريق، والحق يقال لقد كان بعض الناس يتمنى الموت ليتخلص من البلاء الذي يصب عليه وعلى أهله وولده لا لأنه من العمال لله تعالى، بل لقرابتهم منهم على الأقل... ولكونه مسلم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم فيما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء)(1). أي إن الحامل له على التمني ليس الدين، بل البلاء وكثرة المحن والفتن وسائر الضراء(2). وقد يكون من أهل الدين العمال لله تعالى ويصب عليه البلاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر فيقول: يا ليتني مكانه) حديث صحيح(3). وغبط أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر(4). وليس هذا عاماً في حق كل واحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري (81 / 13)
 (6) لسان العرب مادة فهد (178/10) وتاج العروس (425/18)
 (7) الآية 40 من سورة طه.
 (8) الآية 2 من سورة العنكبوت.
 (9) تاج العروس مادة فتن (18 / 425) (426/18)
 (10) الآية 10 من سورة البروج
 (11) لسان العرب مادة فتن (10/181).
 (12) انظر في ظلال القرآن (6/3872).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (4/2231 / 2908) والبخاري مختصراً (13/80/7115 فتح الباري).
 (2) انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (4/2231) مع زيادة .
 (3) وأخرجه البخاري في صحيحه (13/8/7115)، وأخرجه مسلم في صحيحه (4/2231/2908)
 (4) فتح الباري فيما بها نقل عن ابن بطال (13/81)



لقد ذهبت إلى مدينة الأحدود وهي على بعد 30 كم من مدينة نجران جنوب السعودية وذلك عام 1970م، فإذا هي مدينة خالية.. صنعت جدرانها من أحجار زرقاء هائلة، رأيت الجبل الذين أردوا أن يلقوا الغلام منه وآثار بحيرة، ورأيت ما أذهلني من عظام أو لحوم متفحمة خلف المدينة، رأيت آثار المحرقة وذهب المعذبون وبقى حساب الله الباقي...

أما في زماننا هذا فقد تحقق ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد في مسيرة كذا وكذا..) حديث صحيح⁽¹⁾.

قال الشيخ الغماري — رحمه الله تعالى — وهذه السياط قد تكون من أذناب البقر كالواقع من البوليس الفرنسي في المغرب وغيره⁽²⁾..

ولئن كان الشيخ الغماري يحدث عن ما صنع الفرنسيون فإن أذناهم وأذناب غيرهم صنعوا أشد من هذا بضربهم بسياط كأذناب البقر، وليس هذا فحسب بل بسياط ظاهرها من مادة (بلاستيك) وباطنها فولاذ، وبمكان ما تضرب تفلق من أجساد المؤمنين الذين يهمهم أمر الإسلام..

(1) أخرجه مسلم (2128/1680/3) و (2128/2192/4) ورواه أحمد (8451/356/2) و (9338/185/2) واللفظ لمسلم.

(2) مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية تأليف أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني - ط المكتبة الشعبية - بيروت - (ص42)

الرسول ﷺ يخاطبنا عن محن عصرنا وفتنه

ومما يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي يروي ألواناً شاهدها من التعذيب:

في ليلة ليلاء من نوفمبر
فإذا كلاب الصيّد تهجم بغتة
لا فرق بينهم وبين سيّاطهم
يتلقفون القادمين كأنهم
بالرجل بالكرباج باليد بالعصا
وتفتنت كي لا يمل معذب
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه
أسمعت بالآهات تحترق الدجى
وسل الشياطين السودكم شربت دمًا

فزعت عن نومي لصوت رنين
وتحوطني عد شَمَالٍ وميمين
ككل أداة في يدي مَأْفُونِ
عثروا على كتر لديدك ثمين
وبكل أسلوب خَسيس دون
في العرض والإخراج والتلوين
حتى يرى في هيئة البالون
بالطوق حتى ينتهي لجنون
ناراً وقد صبغوه بالفزلين
رباه عدلك، إهمم قتلوني
حتى غدت حُمراً بلا تلوين⁽¹⁾



(1) رائق الشهد وإسلاماه جمعه الدكتور سيد حسين العفاني - ط مكتبة معاذ بن جبل - مصر بني سويف.

شرار خلق الله عزوجل ورجاله رجال الصحيح والحديث صحيح⁽⁶⁾.

لذلك كانت فتنة الناس في عصرنا المال في الأغلب لاستخدام الثروة في فتن الناس عن دينهم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه كعب بن عجرة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال)**.⁽⁷⁾

ولما للمال في نظر بعض الناس من أهمية دعاهم حبه إلى الكفر بشتى صورته حتى موالاة الكفرة والله يقول: **(... ومن يتوهم منكم فإنه منهم)**⁽⁸⁾ وحتى دعاهم لسب النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم لنكران سنته حتى المتواترة سواء كانت في صحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجه وموطأ مالك.. وغير ذلك، بل وسب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين رواة السنة وخاصة وسب أبي بكر وعمر خاصة - رضي الله عنهما -، ولولا هؤلاء الصحابة ما كنا مسلمين فهم سب إيماننا كما

كل ذلك لفتنة الرجل عن دينه أو بعض دينه.
2- **الفتنة بالمال والأولاد:** أخذ ذلك من قوله تعالى: (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة)⁽¹⁾. فقد سماهم الله تعالى ههنا فتنة اعتباراً بما ينال الإنسان من الاختبار بهم، وسمى الله بعض الأزواج والأولاد عدواً باعتبار بما يتولد منهم فقال سبحانه: **(إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم)**⁽²⁾.⁽³⁾ والفتانان: الدرهم والدينار لأتهما يفتنان الناس⁽⁴⁾..

إن فتنة المال أساسها من غرباء عن أرضنا شرار حضروا بلاد المسلمين، ثم أملوا علينا الأوامر والشروط في كل موارد المسلمين المالية وثرواتهم عن رجل من بني سليم عن جده: (أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بفضة فقال: هذه من معدن لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ستكون معادن يحضرها شرار الناس)**. أخرجه الإمام أحمد والحديث صحيح⁽⁵⁾.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة من ذهب، كانت أول صدقة جاءت من معدن فقال: (ما هذه) قالوا: صدقة من معدن لنا، فقال: (إنما ستكون معادن، وسيكون فيها**

(6) وقد أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (153/1) والمعجم الأوسط (3532/30/4) ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد للهيتمي - (14419/78/3).

(7) أخرجه الترمذي (4518/6 / 2439 تحفة الأوحدي) وقال حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحه (3223/17/8)، وأحمد في مسنده (17017/160/4) والحاكم (7896/318/4) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وواقفه الذهبي، والطبراني في المعجم الأوسط (3295/325/3) وفي المعجم الكبير (404/179/19).

(8) الآية 51 من سورة المائدة.

(1) الآية 28 من سورة الأنفال.

(2) الآية 14 من سورة التغابن.

(3) تاج العروس مادة فتن (426/18)

(4) تاج العروس مادة فتن (427/18)

(5) وقد أتى له صاحب السلسلة الصحيحة بشاهدين ثم قال (وجملة القول أن الحديث صحيح بشاهديه المذكورين - سلسلة الأحاديث الصحيحة

(1885/506/4).

أنهم ادعوا تحريف القرآن والله تعالى يقول (إننا نحن نزلنا الذكر وإنالهُ حافظون) (1)
 والمصاحف القديمة من القرن الأول الهجري تفيد حفظ القرآن وخاصة في مصاحف صنعاء القديمة كما في دراستي على موقعي على الانترنت www.hamdoun.net . في ردي على بعض المستشرقين.

كل ذلك من ألوان الكفر والفسق والجحود مقابل مال زائل، وكأن العقيدة هي المال، والمال هو العقيدة عافانا الله تعالى، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل) والحديث صحيح (2).

إن الفتن في عصرنا قد تنوعت وتعددت، بل صار لها مؤسسات، كل ذلك ليتربك المسلمون دينهم ويحل بهم نكبات كنيكة أهل الأندلس ، مؤسسات الإغراء بالربا ومؤسسات للإغراء بالزنا ومؤسسات للإغراء بالقمار ومؤسسات لأحزاب اتخذت من عداوة الإسلام سبيلاً

ومؤسسات ... ومؤسسات... وعلى كل مؤسسة سلطان لفتنة لا يعطي شيئاً مالاً أو جاهاً أو دراسة... الخ إلا إذا أخذ من دين الرجل أو المرأة بمقدار ذلك في دراسة أجنبية محكمة وصدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(سيكون بعدي سلاطين الفتن على أبواهم كمنار الإبل لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله) حديث صحيح (3).

قال الشيخ أبو الفيض أحمد الغماري الحسني: فسلاطين الفتن هم الموجودون في هذا العصر لا من كان قبلهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (على أبواهم كمنار الإبل) لأن هذا وصف السيارات ومواقفها (4).

وأشد من ذلك وأخطر أن يقع بعض الفقهاء في الدين وقراء القرآن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في المصيبة نفسها، والمطلوب منهم أن يكونوا قدوة حسنة للعامة من الناس ، فتقع بوقوعهم في الفتنة فتنة أكبر، كل ذلك مقابل مال زائل ... فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ، ويقرؤون القرآن ، ويقولون نأتي الأمراء، فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك كما

(1) الآية 9 من سورة الحجر.

(2) أخرجه الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي - المستدرک (8354/438/4) وللحديث شواهد في مستدرک الحاكم (8355/439/4) وشاهد في صحيح مسلم (118/110/1) والترمذي (2195/487/4) وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده (7970/304/2) و (10392/532/2).

(3) رواية الطبراني والحاكم في المستدرک قال السيوطي : حديث صحيح - الجامع الصغير للسيوطي (4771/62/2).
 (4) مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص 51) .

لا يُجتنى من القتاد⁽¹⁾ إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قريهم إلا قال : ابن الصباح : كأنه يعني الخطايا ورواة الحديث ثقة⁽²⁾.

3- فتنة النساء:

الفتنة الإعجاب بالشيء وفي الحديث (ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء)⁽³⁾.

يقول أخاف أن يعجبوا بمن فينشغلوا عن الآخرة والعمل لها⁽⁴⁾. وفتن الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها، وأهل نجد يقولون أفتنته قال الشاعر باللغتين:

لئن فتننتني لهي بالأمس أفتنت

سعيداً فأمسى قد قلا كل مسلم⁽⁵⁾

لقد استخدمت نساء كثير في العصر الحديث طريقاً لترك الإسلام وذلك بالتشجيع على كشف عوراتهن والزنى بل استخدمن كسلعة لدعايات تجارية والمرأة خلقت لأكرم من هذا وقد مر معنا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله وعليه وسلم

(صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)⁽⁶⁾.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم (كاسيات عاريات) شمول لصور عديدة.. من اللباس اللاصق أو الشفاف أو كليهما في عصرنا وهذا من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في كل (موديلاهم).

وتعجب عندما ترى رجالاً يصلون بالمساجد ويذرون سياراتهم ذات السروج المريحة على أبواب المساجد تعجب من كون نساءهم كاسيات عاريات، وما أصدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عبد الله بن عمرو بن العاص في حديث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سيكون في آخر آمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال ، يتزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات) والحديث صحيح⁽⁷⁾.

(1) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبر، وقتدت الإبل كفرح ، قتدا فهي إبل قتدة وقاتدى، كسكارى وفرحة: اشكت بطونها من أكله أي القتاد - انظر تاج العروس مادة قتد (178-174/5).

(2) رواه ابن ماجة واللفظ له (255/93/1) ورواه ثقات - الترغيب والترهيب للمنذري (41/3) - ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (8236/150/8).

(3) الحديث مروى عن أسامة بن زيد أخرجه البخاري (118/9) في النكاح ومسلم رقم (2740) في الذكر والدعاء والترمذي رقم (2781) في الأدب وأخرجه الترمذي عن أسامة بن زيد وسعيد بن زيد - انظر جامع الأصول وتعليق عبدالقادر أرناؤوط عليه (519/6).

(4) تاج العروس مادة فتن (425/18)

(5) لسان العرب مادة فتن (179/10)

(6) مر تخريج الحديث

(7) رواه أحمد في مسنده (7043/223/2) قال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح - مجمع الزوائد للهيثمي (8612/137/5) ورواه الحاكم وصححه - مستدرک الحاكم (8346/483/4) إلا أنه قال: (رجال يركبون على الميائز).

الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق
ويتقارب الزمان ويكثر الهرج) قلت: وما
الهرج قال (القتل) والحديث صحيح (6)
ويعتبر زماننا رقماً قياسياً في قتل المسلمين في
تاريخهم الطويل فما بين أفغانستان شرقاً وبلاد
الشام غرباً قتل من المسلمين أكثر من خمسة
ملايين

4- اختلاف الناس في الآراء:

فيكون القتل والحروب والاختلاف الذي
يكون بين فرق المسلمين إذا تحاربوا، ويكون
ما يبلون به في زينة الدنيا وشهواتها فيفتنون
بذلك عن الآخرة والعمل لها⁽¹⁾. وقد مر معنا
الحديث الأول في اختلاف الناس (وكانوا
هكذا وشبك بين أصابعه).

يحاول أعداء الإسلام تفريق صف المؤمنين في
عصرنا حتى يعيش كل منهم في غربه ببلاده
وعن أحبائه وبخلاف مع أخيه المؤمن — عافانا
الله تعالى — عن حذيفة ابن اليمان رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز
من ثلاث: درهم حلال ، أو أخ يستأنس به،
أو سنة يعمل بها)⁽²⁾.

5- الفتن القتل:

ومنه قوله تعالى: (إن خفتم أن يفتنكم الذين
كفروا)⁽³⁾ وكذلك قوله عز وجل (على
خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم)⁽⁴⁾⁽⁵⁾.
وقد جاء في حديث شريف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن القتل سيكثر عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى تظهر



(6) رواه أحمد (10346 / 519/2) واللفظ له
والسند صحيح - انظر مطابقة المخترعات العصرية
- للغماري - وابن حبان في صحيحه
(6718/113/15)

(1) لسان العرب مادة فتن (180/10).
(2) رواه الطبراني في الأوسط (88/35/1) وفيه
روح بن صلاح ضعفه ابن عدي - انظر الضعفاء
والمتروكين لابن الجوزي (1243/287/1) وقال
الحاكم: ثقة مأمون ، وذكره ابن حبان في الثقات -
الثقات لابن حبان (1324/244/8) وبقية رجاله
موثوقون - انظر مجمع الزوائد للهيثمى
(802/172/1).
(3) الآية 10 من سورة النساء.
(4) الآية 83 من سورة يونس.
(5) لسان العرب فتن (180/10).



مسلم في 40 سنة الأخيرة وتركوا وراءهم
أرامل وبنامى ومحتاجين ومهاجرين لله سبحانه
وتعالى.

وقتل في الجزائر مليون مسلم للتحرير من
الاستعمار الفرنسي علماً أن الجزائريين قاتل
منهم 150 ألف في فرنسا وأخرجوا الجيش
الألماني من فرنسا في الحرب العالمية الثانية كما
يقول أحمد بن بّلا وقتل في الجزائر 150 ألف
مسلم بعد التحرير....

وقتل في البوسنة والهرسك 250 ألف مسلم
حتى يونيو 1993م ولو ذهبت أسرد القتل
والذبح الذي أصاب المسلمين لدمى القلب
وذرفت العيون وحزن الفؤاد وإنا لله وإنا إليه
راجعون..

وما أرحمك يا رسول الله — صلى الله عليك
وسلم — عندما تأسف علينا في الفتن
المتلاطمة متعجباً مما يجلب بالمسلمين فقد روى
المقداد بن الأسود رضي الله عنه — قال أيم الله
لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: **(إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد
لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ،
ولمن ابتلي فصبر فواها⁽¹⁾.)** فواهاً: واهاً كلمة
يقولها المتأسف على الشيء والمتعجب منه ⁽²⁾

(1) أخرجه أبو داود (4263/99/4) وإسناد
الحديث صحيح - انظر تعليق عبدالقادر أرنؤوط
على جامع الأصول (18/10).
(2) جامع الأصول لابن الأثير (18/10).



الغربلة وعلو الهمة

يتجه شاعرنا عبدا لعزیز الشهري إلى الله عز وجل بقلبه يطلب منه الثبات عند الغربلة والزلزلة ويؤمن بأن وعد سبحانه الله وتعالى حق لا بد منه فيقول:

أتحسب أن كل الدهر طلقُ
كذلك أول الطوفان ودقُ
بذكرى، أم بفاجعة تحق
وينضح من هيب الشمس عدقُ
فتكتم حرَّ عبرتها دمشقُ
يسيح، وفي ربي كشمير سحقُ
نرى ذمماً تباع وتُسترقُ
صلاًباً ثم في الأحداث رققوا
أخاديد لـصحتنا تشقُ
ومالك في رغيد العيش حقُ
يكاد لفرط همتها يشقُ
يهون على الفتى أم وسحقُ
يـردد: إن وعد الله حقٌ(1)

فراقك يا زمان الرغد حق
فلا تغررك ضاحكة الليالي
غداً نصحو ولكن لست أدري
يثوب الوعي في صخب المآسي
هنالك في حماة تلوح ذكرى
وفي أرض الجزائر ألف جرح
تغربلنا الكروب فكل يوم
فكم من معشر في الحق كانوا
فما من بقعة إلا وفيها
ومالك في الكرامة أي حظ
لقد عانيت من نفسي فصدري
إذا ما الروح بالفردوس هامت
ولست بجازع ما دام قلبي